شعور رب الشمس

(مهداة إلى روح شقيقتي الوحيدة
التي رجعت إلى ربها راضية مرضية)

تركتِ الدار موحشة الجنابر ... ورُحت وأنت في شرخ الشباب
دفنتك في التراب وكنت عندي ... أعزّ الخاطرين على التراب
وأودعتُ الثرى كنزاً ثميناً ... من الأخلاق والشيم العذاب
وغاب مع الكون الجهم صوتٌ ... على فيراته يغفو انسطرابي
وغيّب في ظلام القبر نور ... وخلّف لي لهيباً من عذاب
يؤرّقني غيابك من حياتي ... وما أقسى مرارات الغياب !
تلمستِ النجاة فرُحت جسماً ... طريّ العود خفّاق الاهاب
وعُدتِ إليّ لا قفص خفوق ... ولا روح يلطف من مصابي
ولو أني استطعت بثوب قلبي ... قديدك من أعاصير التباب
أنادي باسمك الغالي ، ولكن ... أراك عييت عن رد الجواب
وكنتِ إذا سكتُّ ملأتِ نفسي ... بألوان الحديث المستطاب
أنادي . . والأنين رجيع صوتي ... وأهتف والجواب صدى انتحابي
وتطغي الدموع . . . وأي صبر ... يقرّ أمام دمع في انسكاب !
وأي سعيبة نزلت بساحي ! ... وأي رزيئة وقفت ببابي !
وما بلهين الخطب افتقادي ... أعزّ الأقربين إلى انتسابي
فقدتك وافتقدت عزاء نفسي ... وكنت لي العزاء وقد خلا بي !

***

أراكِ - وقد أراكِ الموت حلماً - ... بسمتِ فقد خلصت من العذاب

رؤى الدنيا كواذب خادعات ... وقد صبغت بألوان كذاب
تساق إلى مفاتنها ، وتمضي ... سُقيتِ المسحرين الى السراب
ونعشو كافتراش على شعاع ... جحيمي الحرارة والشهاب
نؤمّل ما نؤمّل ثم تطوى ... مع الأنفاس آمالٌ خوابي
تعللنا بمسول الأماني ... ونلوح بالتحلة كلّ ساب
ونأخذ من يد الأيام كأساً ... تداولُ بالقديم من الشراب
نجرّعه وليس لنا بديل ... إلى الشكوى من الألم المذاب
وتسلبنا الأنى ، وليس حرصٌ ... بعالم كفها عن الاغتصاب
مضت بالأولين ، وسوف تمضي ... بنا وبغيرنا من كل باب
نعيش وحولنا أملٌ وصحبٌ ... ونحن من الحياة على اغتراب
وما حمل المرارة غيرُ حي ... زواه الموت عن هذا الركاب
يشيّع نفسه في كل عين ... وراء الراحلين من الصحاب ..!

***

هنيئاً يا العزيزة ! لست أدري ... أكنتِ خيال وهمٍ في عبابي ؟!
أسائل موج أيامي أكانت ... ليالينا بها خفق الشهاب ؟!
وكنا ناعمين على مسرح ... رخيٌّ الريح يمرح في انسياب
يوحدنا الحنان الجمُّ حتى ... كأن رغاب نفسك من رغابي
فلم يعصف برحلتنا خلافٌ ... ولم نعرف لجاجات الشغاب
ولم يلمم بنفسينا خصام ... ولا خطرت بنا نسم العتاب
فما لك قد قطعت سُراك منها ... وعوجل نجم عمرك باحتجاب ؟!
وروّع ليلنا الزاهي بفجر ... دميم الوجه مهتوك النقاب
وهبت في الصباح الطلق ريح ... تسوق إليه داكنة السحاب
وزُلزلت السفينة وهي تعفي ... تدق عباب أمواج غضاب
منكسة الشراع كأن نعشاً ... سرى في اليمّ ما بين اضطراب

ثمّ جرّ الموانحُ ذيلات كأنّ سيالها أفاعٍ ذات
وتهيّجت للغادر وهي تسلّه مسلولة بأظفار وناب
فألقى بي الأسى في غمرة وعي شريد الفكر مفقود الصواب
أجوب الشاطئين غريب دار مطلسمة المعالم والنصاب
كأنّ لسيمها أنفاس جنّ وأنّ حفيفه صوت الباب
عجا منها البشاشة هل يرم أساء إلى مغانيها الرطاب

* * *

شقيقتيَ العزيزة ! أيّ خطب بليتُ به ولم يبك في حسابي !
كتاب حياتك اختتمته بلوى فكان الرزء خاتمة الكتاب
طويل فصوله سنةٌ وعامٌ سريع الخطو ومضيُّ الزمان
طواه الموت مختوماً مجولاً كما يطوى الحديث بالاقتضاب
وكانت قصة القدر المعمّى وكانت قصة الزمن المحابي
صبرت على متاعبها ، وكانت عجوفك في فؤادي كالحراب ..

* * *

شقيقتيَ العزيزة أيّ ذكرى معطرة تحنّ من كل باب !
حديثك في فم الأهلين عهدٌ وبُعدك عن ديارك كأس صاب
وما عوّدتني في العيش نأياً فكيف وقد رحلت بلا إياب !
ذهبتِ شهيدةً لقاء ربٍّ كريم الأجر ، مرجوّ الثواب
حملتِ على يديك كتاب طهرٍ وعفّة خاطرٍ ، وتقى شبابِ
رحلتِ وأنتِ باسمة رضاة وما خلّفت لي إلاّ اكتئابي
سأمضي بعد مزلتكِ في حياتي كما يمضي المغامر في الضبابِ
خلَتْ من كل ملواذ وهانت وقد ضاقت بأحزاني رحابي ...

حسن كامل الصيرفي